مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

قراءة نقديّة " المتوقع، واللامتوقع، والأنا، والآخر في ميمية المتنبي واحرّ قلباه لأبي الطيب المتنبي على ضوء نظريّة التّلقّي

A critical reading of "The Expected, the Unexpected, the Ego, and the Other in the Meme of Al-Mutanabbi and the Warmest of His Hearts" by Abu al-Tayyib al-Mutanabbi in the light of the reception theory.

مرام محمّد رضوان المومني*

أستاذ مساعد في اللغة العربيّة / أدب ونقد

مدرسة الملك عبدالله الثاني للتميز/ عجلون (الأردن)

drmaram2013@yahoo.com

تاريخ ارسال المقال:2023/03/05	تاريخ القبول:2023/05/01	تاريخ النشر: 2023/09/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضّوء على نظريّة التّلقّي في النّقد الأدبيّ الّتي ظهرت في نهاية السّتينيّات من القرن العشرين على يد (آيزر و ياوس)، وعلى أسس هذه النّظريّة، ويهدف البحث إلى توضيح المواطن الجماليّة في ميمية أبي الطّيّب المتنبّي "واحرّ قلباه" من خلال أسس نظريّة التّلقّي (المتوقع واللامتوقع، والأنا، والآخر)، وكانت النّتيجة أنّ أفق التّوقّع في قصيدة أبي الطّيّب، وقد كان عنصراً مهماً في أساليب التحليل التي تؤدي إلى النجاح في كل الاختبارات في ذهن القارئ، وكانت الأنا في قصيدة المتنبّي تعتمد على التّضخّم، وعلى نفي الآخر وسلبه قدرته على الحكم.

الكلمات المفتاحية: المنتظر، غير المتوقع، الأنا، والآخر.

Abstract

The aim of this research is to shed light on the Reception Theory in literary criticism that appeared at the end of the sixties of the twentieth century by (Iser and Yaos), and on the foundations of this theory (expected and unexpected, the ego and the other). The research aims to clarify the aesthetic positions in the poem “Waher Qalbeh” by Abu al-Tayyib Al-Mutanabbi on the bases of this theory (Expected and unexpected, the Ego and the others).The result shows that the perspective of expectation in Abu Al-Tayyib’s poem is an important element in the methods of analysis that lead to success in all assessments in the mind of the reader, as well as the ego in Al-Mutanabbi’s poem depended on increasing, ignoring and depriving the reader of the ability to judge.

Keywords: The Expected, the Unexpected, the Ego, and the Other.

المقدّمة:

لا شك أن أبا الطيب المتنبي من الظواهر الشعرية الفريدة، كيف لا! وهو الشاعر الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس، وأطلق لُقِّب المتنبّي؛ لما وردَ عنه من ورعٍ في خُلقه، فقد كان آخذًا نفسه بالجدّ ومُنصرفًا للعلم مبتعدًا عن الفواحش، وكان له منزلة رفيعة عند عُلماء الأدب واللغة والنّحو؛ أمثال الرّبعيّ، وابن جنّيّ، وأبي علي الفارسيّ، وقد كان يكثر من ذِكر الأنبياء في شعره، فتارة يشبّه نفسه بهم، وتارةً أخرى يقارن أخلاق ممدوحيه بهم. [1]

ولِما لأبي الطيب المتنبي من أهمية في عالم الشعر، والأدب فقد كثرت الدراسات الأدبية حوله فمنهم من اهتم بحكمته، ومنهم اهتم بعلو همته، ومنهم من اهتم بلغته، ومنهم من انجذب إليه بشكل كامل يدافع عنه، وعن أخطائه، ومنهم من اتهمه بالسرقات الأدبية، وما إلى ذلك من عالم واسع من الدراسات صنعه شعر أبي الطيب المتنبي، وقد استخدم

الدارسون عدة مناهج في دراسة هذه الظاهرة فمنهم من درسه باستخدام المنهج التاريخي، ومنهم من استخدم المنهج النفسي والتحليلي وما إلى ذلك من مناهج درست هذا الشاعر المبدع.

ولما كانت العملية النقدية في تطور مستمر؛ فقد ظهرت مدارس نقية تتسم بالحداثة بمناهجها المختلفة النّفسيّة، والاجتماعيّة، والبنيويّة، والتفكيكيّة لكنها لم تولِ القارئ دورًا كبيرًا في العملية النّقديّة؛ إذ يتولّى عمليّة النّقد مختصّون في هذا المجال، لا يسمحون للآخرين بإبداء آرائهم دون إثبات قدرتهم على النّقد، ومن هذا الباب ظهرت نظريّة التّلقّي في الأدب الحديث لتعطي القارئ دورًا رئيسًا ومهمًا في الحكم على العمل الأدبيّ. وليست نظريّة التّلقّي بالشيء الجديد في عالم النّقد، بل لها جذور ممتدة في القدم كما سنذكر في هذا البحث، وذلك من عدة أسس اعتمدت عليها في حكم القارئ على النّصّ سنبينها خلال البحث، وسيقوم هذا البحث بقراءة جديدة لقصيدة أبي الطّيّب " واحرّ قلباه" وفق أسس هذه النّظريّة الّتي تغفل كل أنواع النّقد القديمة، ولا يخفى على أديب عربي من هو أبو الطيب المتنبّي؛ فشهرته كبيرة، وأعماله خالدة. ولعل هذه الدّراسة ستكشف لنا ما الذي جعل وقع هذه القصيدة يتجذّر في نفس القارئ، وما هو الصّراع الّذي يحدث بين أفق توقّع القارئ وأفق أبي الطّيّب المتنبّي، ومن الّذي سينتصر وفق أسس نظريّة التّلقّي؟

إجراءات البحث والإطار النّظري:

- **مشكلة البحث:**

تعدّدت نظريّات النّقد الأدبيّ القديمة، والحديثة، واختلفت طرقها، فمنها ما يعتمد على النّصّ الدّاخليّ، ومنها ما يعتمد على كاتب النّصّ، ومنها ما يعتمد على تاريخ كتابة النّصّ. وكون هذه النّظريّة أهملت كلّ هذه الطّرق و المناهج، واعتمدت بشكل أساسيّ على القارئ؛ جاءت من هذا الباب إشكاليّة البحث ، وذلك كون القرّاء مختلفون في ثقافاتهم ممّا أوجد تحديًّا في قراءة النّصّ الأدبيّ وفهمه نقديّا بين قارئ وآخر، ويعدّ أبو الطّيّب المتنبّي من الشّعراء الّذين تركوا بصمة واضحة في الأدب العربيّ ، وكان شعر أبي الطّيّب زاخرًا بالمعاني، والتّشبيهات، والألفاظ، والحكم، وعلو الأنا، ممّا لفت نظر النّقّاد بشكل واضح إلى دراسة شعره والاستشهاد به، ومن هنا جاء هذا البحث ليدرس نصّ قصيدته" واحرّ قلباه" وفق أسس نظريّة التّلقّي في النّقد.

- **أسئلة البحث:**

ما هي الاختلافات بين نظريّات النّقد عامّة، ونظريّة التّلقّي خاصّة؟

إلى أيّ مدى استطاعت نظريّة التّلقّي التّغيير في دور القارئ في النّقد الأدبيّ الحديث؟

إلى أيّ مدى ظهرت "الأنا" في شعر أبي الطّيّب المتنبّي؟

- **أهداف البحث:**

هدف هذا البحث إلى:

1-التّعرّف إلى نظريّة أصول نظريّة التّلقّي، ومدى قدرتها على النّقد للنصوص الأدبيّة.

2-القراءة النّقديّة لقصيدة" واحرّ قلباه" لأبي الطّيّب المتنبّي وفق أسس نظريّة التّلقّي.

- **أهمية البحث:**

- تعدّ نظريّة التّلقّي من النّظريّات الّتي تظهر أهميّة دور القارئ في عمليّة النّقد الأدبيّ، ومن هنا جاء هذا البحث ليرفد مكتبة النّقد الأدبيّ الحديث بقراءة نقديّة لقصيدة" واحرّ قلباه" لأبي الطّيّب المتنبّي وفق نظريّة تعطي القارئ دورًا مهمًا في عمليّة النّقد.

- **حدود البحث:**

جاءت حدود هذه الدّراسة في المتوقع، واللّامتوقع، والأنا والآخر نقد قصيدة أبي الطّيب المتنبّي " واحرّ قلباه".

- **منهج البحث:**

اتّبعت هذه الدّراسة المنهج التّحليليّ لقصيدة أبي الطّيّب المتنبّي "واحرّ قلباه" وفق أسس نظريّة التّلقّي" المتوقع، واللامتوقع، والمسافة الجماليّة، وهذا المنهج منهج يقوم على تقسيم المشكلات البحثيّة إلى العناصر الأوليّة الّتي تُكَوِّنها؛ لتسهيل عمليّة الدّراسة، وبلوغ الأسباب الّتي أدَّت إلى نُشوئها، ويستخدم بالتزامن مع طرق علميّة أخرى.

- **الّتعريفات الإجرائيّة:**

المتوقع، واللامتوقع: وهي قدرة الكاتب على الانتصار على أفق القارئ يعطي النّصّ جمالًا ولذّة.

المسافة الجماليّة: هي تلك المسافة بين أفق الكاتب وأفق القارئ، ويأتي بعدها إعجاب ودهشة القارئ.

الأنا: هي مصطلح يشير إلى مدى ظهور شخصيّة الكاتب في النّصوص الّتي يؤلّفها.

الآخر: هو الطّرف أو الشّخص الآخر في النّصّ الأدبيّ، وقد يرفعه الكاتب أو ينصفه، أو يسلبه حقّه أو يحقّره.

الإطار النظري والدراسات السابقة

ماهية نظريّة التّلقّي قديمًا وحديثًا، وأسسها.

***نظريّة التّلقّي* قديمًا:**

لا تعدّ نظريّة التّلقّي في النّقدّ نظريّة حديثة بالمعنى الكامل، فلها أصولها التّاريخيّة القديمة الّتي تثبت أنّها نظريّة قديمة حديثة[2]، وقد بدأت هذه النظريّة فعليًّا من خلال ردود الفعل الّتي يبديها القارئ، أو المستمع على النّصّ الأدبيّ الّذي يتلقاه من خلال تأييده، أو رفضه، أو إبداء الملل، أو الدّهشة[3].

ويرى روربرت هولب في كتابه "نظريّة التّلقّي أنّ هذه النّظريّة لم تكن وليدة عصرها، بل لها جذورها التّاريخيّة الممتدّة تصل إلى أرسطو؛ ففي كتابه "فن الشعر" ركّز أرسطو على التّأثير الشّفاهيّ، والكتابيّ على المستمع، والقارئ[4].

و تعّد جامعة كونستانس الألمانية مهدًا لنظريّة التّلقّي؛ ففي أواخر السّتينيّات من القرن العشرين قام (هانز روبرت ياوس)، و(فولفانج آيزر) المحاضران في هذه الجامعة بالتّنظير لهذه النّظريّة الّتي اهتمّت بدور القارئ للنصّ الأدبيّ في نقده، وقد كان للدراسات الاجتماعيّة للأدب دورٌ كبيرٌ في إنجاح هذه النّظريّة.

ويرى (ياوس) أنّ المصدر النّهائيّ للمعنى، وللتاريخ الأدبيّ هو القارئ، ويرى آيزر أنّ القارئ هو الّذي يملأ فجوات النّصّ وفراغاته.

ويتّفق ((ياوس)، وآيزر) على أنّ التّأويل الّذي يعدّ واحدٌ من آليات هذه النّظريّة هو الرّكن الأساسيّ في هذه النّظريّة؛ فمن خلاله يتعمّق القارئ في النّصّ الأدبيّ، ويكشف غموضه، وجماليّاته، وما يخفي من دلالات يتفاوت فهمها من قارئ لآخر حسب ثقافته، فالقارئ هو الحكم النّهائيّ لدلالة النّصّ الأدبيّ.

المطلب الثّاني: أسس نظريّة التّلقّي:

أولا: أفق الانتظار:

يعدّ أفق التّوقّعات من أهمّ وأكثر المفاهيم حساسيّة عند (ياوس)؛ فإن كان المؤلّف قادرًا على تخييب ظنّ القارئ للنصّ وجعله يجد غير ما يتوقّعه، ويجعله يصاب بالدّهشة والاستغراب؛ فهذا الأمر يعدّ نجاحًا للنصّ الأدبيّ، أمّا إذا وافق النّصّ توقعات القارئ فإنه بذلك لا يحدث وقعًا جديدًا في نفسه، والعمل الأدبيّ لا فائدة ترجى منه.

ثانيا:المسافة الجماليّة:

إنّ المسافة الّتي تحدث بين أفق الانتظار للقارئ، والقلق الّذي يغشاه ليصل إلى المعنى المراد من العمل الأدبيّ وما يحدثه من عدم استجابة للنصّ، وما يحدث من فهم لاحق، تجعل للنصّ الأدبيّ طعمًا خاصًّا في ذهن القارئ؛ فكلّما كان النّصّ أعمق كانت المسافة الجماليّة أكثر حضورًا، وتشويقا، وبذلك تزداد قيمته الجمالية[5].

3-الفراغات أو الفجوات:

وهي تلك المساحات الفارغة التي لا يستطيع اكتشافها ألا القارئ المتمرس؛ لما فيها من حِيل فيستطيع القارئ ملء تلك الفراغات ليصبح النص متماسكا يعطي المعنى الكامل، ولا يعدّ النّصّ جيّدًا إذا كان واضحًا.[6]

4. السّؤال والجواب:

يرى (ياوس) أنّ قدرة النّصّ الأدبيّ على دفع القارئ إلى اكتشاف السّؤال الّذي وُضِع من أجله النّصّ، وبناء أسئلة عليه تدل على قدرة المؤلّف في إيصال نصّه للقارئ بشكل يجعله مستساغًا لديه ممّا يزيد عنصر التّشويق والإبداع لنصه الأدبيّ[7].

الدّراسات السّابقة:

ويمكن تقسيم الدراسات السابقة في هذا الموضوع إلى جزئيين أحدهما يتحدث عن نظرية التلقي على العموم، والآخر يتحث عن الانا ولآخر والمتوقع، واللامتوقع في شعر أبي الطيب المتنبي:.

دراسة المقيم(2020) بعنوان: المتلقّي في دارسات عبد الرّحمن شكري النّقديّة في ضوء نظريّة التّلقّي، ويقوم هذا البحث بكشف جهود الناقد عبد الرّحمن شكري في دراساته وآراءه النّقديّة المتعلّقة بالمتلقّي، وتسليط الضّوء على طبيعتها ودورها وأهميتها، وتكشف هذه الدّراسة جزءًا من الجهود السّابقة لنظريّة التّلقّي الحديثة، من خلال استعانة النّاقد بالدّراسات النّفسيّة والاجتماعيّة الّتي ازدهرت في بدايات القرن العشرين.

دراسة عز الّدين(2018) بعنوان: جماليّات التّلقّي عند عبد القاهر الجرجانيّ، وهدفت هذه الدّراسة إلى دراسة وفهم منجزات عبد القاهر الجرجانيّ وفق نظريّة التّلقّي كونها نظريّة تعتمد على القارئ في تفسير النّصوص الأدبيّة.

دراسة بن شورى (2016) بعنوان: جماليّات التّلقّي في شعر"يوسف وغليسي"، وهدفت هذه الدّراسة إلى بيان تلقّي القرّاء لشعر "وغليسي: وفق أسس نظريّة التّلقّي

ثانيا دراسات في شعر المتنبي:

دراسة ابراهيم (2006) وتهدف هذه الدراسة إلى قراءة شعر المتنبي وفق نظرية التلقي، وتركز على مصلح أفق التوقعات من أجل فهم، وإنتاج الدلالة ، فهي تعتمد على نظرية التلقي في بيان المتوقع، واللامتوقع في شعر المتنبي، ووجدت هذه الدراسة في شعر المتنبي بيئة خصبة يجعل القارئ يسبح في أفق التوقعات، فيغضب، وبفرح، ويتفاجئ وما إلى ذلك من سبل جذب للقارئ.

دراسة ناجي(2012) بعنوان: شعر أبي القاسم الشّابيّ في ضوء نظريّة التّلقّي، وهدفت هذه الدّراسة إلى قراء ديوان "أغاني الحياة" للشاعر أبي القاسم الشّابيّ وفق أسس نظريّة التّلقّي من خلال البحث في مثيراته اللامتوقعة، وملء فراغاته.

دراسة الرباحي(2012) تناول هذا البحث ظاهرة "الأنا" في شعر المتنبي وأبي علاء المعري في إطار التوازن النقدي. و من أجل تحقيق أغراض هذه الأطروحة ، كان من الضروري الاعتماد على ثلاثة اتجاهات: الأول هو الاتجاه النفسي لتلبية الجوانب النظرية والتطبيق، والمنهج التاريخي في الاتجاه الثاني ، ومن خلاله يمكننا الكشف عن المكانة للعالم الإسلامي خلال فترة وجود الشاعرين، بالإضافة إلى أن سياسات الدولة الاقتصادية، والاجتماعية يتم الكشف عنها بشكل خاص نتيجة لـ الحضارات تتغير، والصراع على السلطة التي يمكن أن تكون وسيلة لاستكشاف هذا الواقع،ب ينما الاتجاه الثالث يأخذ طريق "الممارسة الذاتية" لـ "الآنا" الظاهرة في شعرهم ، حتى يصبح هذا الفصل واسعًا وغنيًا ملاذًا لذلك وتوصلت الدراسة إلى أن "الآنا" تستمد تمردها وقوتها من ضعف المجتمع وتجارب الطفولة التي تعكس الغرائز الاستعداد مع الشاعرين للسير نحو العظمة وفتان الذات، مع الأخذ في الاعتبار شخصية الشاعر والبيئة الخارجية كوسيط مناسب لها النمو والعظمة.

دراسة عبد الباسط الزيود (1427هـ، 2006) بعنوان: المتوقّع واللامتوقع في شعر محمود درويش دراسة في جماليّة التّلقّي، وتعالج هذه الّدراسة شعر محمود درويش من خلال عنصريّ المتوقع، واللامتوقع.

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة المقيم(2020) و دراسة عز الّدين(2018)، ودراسة بن شورى (2016) و دراسة ناجي(2012) في كونها تتناول المتوقع، واللامتوقع، و الأنا، والآخر في ضوء نظرية التلقي وتختلف معها في كزن هذه الدراسة تناقش ميمية المتنبي في ضوء نظرية التلقي

وتتفق مع دراسة الرباحي(2012) ودراسة ابراهيم (2006) في كونها تلقي الضوء على شعر المتنبي في ضوء نظرية التلقي وتختلف في القصيدة التي تتناولها الدراسة.

قراءة نقديّة في ميمية المتنبّي واحرّ قلباه من خلال أسس نظريّة التّلقّي" المتوقع واللامتوقع، والأنا.

نصّ ميمية أبي الطيب المتنبي :[8]

أولا: نص القصيدة:

.1	واحرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ	وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
.2	ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي	وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ
.3	إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ	فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ
.4	قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ	وَقد نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ
.5	فكانَ أحْسَنَ خَلقِ اللهِ كُلّهِمِ	وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ
.6	فَوْتُ العَدُوّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَرٌ	في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّهِ نِعَمُ
.7	قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ وَاصْطنعتْ	لَكَ المهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ
.8	أَلزَمتَ نَفسَكَ شَيئاً لَيسَ يَلزَمُها	أَن لا يُوارِيَهُم أَرضٌ وَلا عَلَمُ
.9	أَكُلّمَا رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً	تَصَرّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ
.10	عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ في كلّ مُعْتَرَكٍ	ومَا عَلَيْكَ بِهِمْ عارٌ إذا انهَزَمُوا
.11	أَمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ	تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ
.12	يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي	فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ
.13	أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً	أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ
.14	وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيَا بِنَاظِرِهِ	إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ
.15	سَيعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا	بأنّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ
.16	أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي	وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ
.17	أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا	وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيَخْتَصِمُ
.18	وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي	حَتى أتَتْه يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ
.19	إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً	فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ
.20	وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبها	أدرَكْتُهَا بجَوَادٍ ظَهْرُه حَرَمُ
.21	رِجلاهُ في الرّكضِ رِجلٌ وَاليدانِ يَدٌ	.. وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ
.22	وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بِهِ	حتى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ
.23	الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني	وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ
.24	صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً	حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ

.25	يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ	وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ
.26	مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ	لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمرِنَا أمَمُ
.27	إنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا	فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ أَلَمُ
.28	وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ	إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ
.29	كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكُمْ	.. وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأتُونَ وَالكَرَمُ
.30	ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شَرَفي	أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ
.31	لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعِقُهُ	يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدّيَمُ
.32	أرَى النّوَى يَقتَضيني كلَّ مَرْحَلَةٍ	لا تَسْتَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ
.33	لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ مَيامِنِنا	لَيَحْدُثَنّ لمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ
.34	إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا	أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ
.35	شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ	وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ
.36	وَشَرُّ ما قَنّصَتْهُ رَاحَتي قَنَصٌ	شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَمُ
.37	بأيّ لَفْظٍ تَقُولُ الشّعْرَ زِعْنِفَةٌ	تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ وَلا عَجَمُ
.38	هَذا عِتابُكَ إلاّ أنّهُ مِقَةٌ	قد ضُمّنَ الدُّرَّ إلاّ أنّهُ كَلِمُ

ثانيا: المتوقع، واللامتوقع في قصيدة واحرّ قلباه:

تبيّن ممّا سبق ذكره أنّ النّصّ الأدبيّ يعتمد نجاحه بقدرته على تخييب ظنّ القارئ بمفاجأته في النّتائج، والتعبير وقدرته على تغيير أفقه والامتداد به دون ملل، وصنع الأسئلة في ذهنه مما يجعل أفق القارئ يتصارع مع أفق المؤلّف؛ فتنتج المسافة الجماليّة الّتي تجعل القارئ يقف مندهشًا، ومتعجبًا من النّصّ الّذي يقرأ[9]، وقد أجمع النّقاد والأدباء على قدرة المتنبّي في صنع الدهشة والإعجاب؛ ممّا جعل أشعاره تخترق الأزمنة والبلدان كظاهرة شعرية فريدة من نوعها ، وسنحاول أن نضع أيدينا على ما صنعه المتنبّي من أفق للتوقعات في قصيدة واحرّ قلباه،

فيض شعر المتنبي بلاغةً وصوراً بيانيةً، وألفاظاً، ومعانٍ غايةً في الروعةِ، حيرت النقاد واللغويين في تفسيرها ومعرفة مدلولاتها، فالمتنبي شاعرٌ عالمٌ بكيفية جعل شعره مؤثراً بالمتلقي، فهو يعبّر عما يختلج في النفس الإنسانية، مصوّراً لها في كلّ حالاتها، وذلك من خلال بواعث الألم والظلم في حياته، والتي كان لها أكبر الأثر في إبراز جمال شعره وتألقه، ذلك الشعر الذي امتلأ ثورةً على الظلم والاستبداد، وامتلأ كبرياءً وشموخاً، إذ صدح به شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ، امتلأت نفسه عزاً وإباءً، وقد استحق عن جدارةٍ لقب (مالئ الدنيا وشاغل الناس)، ليس فقط في عصره إنما في كل العصور، وذلك لِما اتّسم به من جزالةٍ في اللفظ وجودةٍ في المعنى، وقدرة على التصوير البيانيّ بأسلوبٍ شاعريّ بديع، فنراه يقول:

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي

وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا

وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

إن البداية التي استهل بها المتنبي ميميته بداية تظهر حزنه على ما حدث له من أذى ورذا سيف الدولة بذلك الأذى مما دفعه أن يكتب هذه القصيدة التي يحاول بها إظهار ما أصابه من هم وحزن ، بما فعله سيف الدولة به وأنه شخص عزيز على نفسه ويظهر ذلك في قوله:

واحرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ

وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ

ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي

وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ

إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ

فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ

ثم ينتقل أبو الطيب المتنبي إلى ذكر مآثر سيف الدولة بأسلوب بلاغيا، رائع وأنه شخصية مقاتلة لا تنثني من حرب إلا وعادت لأخرى وفي ذلك دلالة على فروسيته وأن أعدائه دائما منهزمون ويظهر ذلك في قوله:

قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ

وَقد نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ

فكانَ أحْسَنَ خَلقِ اللهِ كُلّهِمِ

وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ

فَوْتُ العَدُوّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَر

في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّهِ نِعَمُ

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ و

اصْطنعتْ لَكَ المهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ

أَلزَمتَ نَفسَكَ شَيئاً لَيسَ يَلزَمُها

أَن لا يُوارِيَهُم أَرضٌ وَلا عَلَمُ

أَكُلّمَا رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً

تَصَرّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ في كلّ مُعْتَرَكٍ

ومَا عَلَيْكَ بهِمْ عارٌ إذا انهَزَمُوا

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ

تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ

ثم ينتقل المتنبي إلى معاتبة سيف الدولة بعد أن مهده نفسيا لتلقي هذا العتاب فيعرض له أنه رجل عادل في كل شيء إلا أنه للمتنبي بغير ذنب وفي ذلك ظلم له ويظهر من ذلك روعة المتنبي في إبراز مشاعر الحب لسيف الدولة وأن يجب أن يعيد النظر في ما وصل إليه عنه وأنه ليس بالكاذب ويظهر ذلك في قوله:

يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي

فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً

أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيَا بِنَاظِرِهِ

إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ

ثم ينتقل المتنبي إلى تحقير أعدائه الذين أساؤوا له عند سيف الدولة ويبدأ في ذكر مآثره وما قدم من جد في جميع النواحي ويظهر ذلك في قوله:

سَيعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا

بأنّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي

وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا

وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

ونجد أن أبا الطّيّب حين يبدأ بمدح نفسه يضعها في أعالي درجات المجد بأساليب لغويّة بليغة تجعل القارئ يتمنّى أن يحمل هذه الصّفات لتكون هذه الأبيات مناسبة لوضعه، وتجده يحقّر أعدائه لدرجة أن القارئ يتمنّى ألا يكون منهم ويظهر ذلك في قوله:

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي

حَتى أتَتْه يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً

فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبها

أدرَكْتُهَا بجَوَادٍ ظَهْرُه حَرَمُ

رِجلاهُ في الرّكضِ رِجلٌ وَاليدانِ يَدٌ

وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ

وَمُرْهَفٍ سرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ

حتى ضرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني

وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً

حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ

ثم ينتقل المتنبي للحديث عن رغبته في الرحيل لأن الإهانة التي تعرض لها في مجلس الدولة دفعته إلى التفكير بذلك الأمر وهو عندما يتحدث عن الرحيل يتحدث بحزن ولكن ما دفعه إلى ذلك الإهانة التي تعرض لها من إنسان عزيز على نفسه وخلا حديثه عن الرحيل نجده يهجو من أساء له ويمدح سيف الدولة ويفتخر بنفسه ويظهر ذلك في قوله:

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ

وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ

مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ

لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمرِنَا أمَمُ

إنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا

فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ أَلَمُ

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ

إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكُمْ

وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأتُونَ وَالكَرَمُ

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفِي

أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعِقُهُ

يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدّيَمُ

أرَى النّوَى يَقتَضيني كلَّ مَرْحَلَةٍ

لا تَسْتَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ مَيامِنِنا

لَيَحْدُثَنّ لمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ

ويعتبر أن الرحيل عن قوم يحبوه هو رحيله عنهم لما يجدوه في أنفسهم من الاشتياق له:

إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا

أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ

إن القارئ لقصيدة أبي الطّيّب المتنبّي "واحرّ قلباه" ليجد فيها لائحة دفاع عن النّفس خارقة مليئة بالحجج المنطقيّة الّتي تدحض عنه تهمة –يقرأها المتمرس بين سطور قصيدته –أنّ هناك وشاة أوصلوا لسيف الدولة كلامًا عنه جعله يتصرّف بسلوك سيّء في حقّه، ومن هنا يبدأ الذّهن بطرح الأسئلة المتتالية ما هي تهمة أبي الطّيّب؟ ما هي الطّريقة الّتي أساء بها سيف الدّولة إلى أبي الطّيّب؟ هل قيلت القصيدة في غياب سيف الدّولة أم في حضوره؟ من هم الوشاة؟ ولماذا اتّهموه باطلًا؟ وهل الاتّهام باطل أم حقيقة؟

إن الآفاق الّتي ينطلق فيها أبو الطيب المتنبي آفاق رائعة فهو يأخذك مرّة لحزنه بعبارات تجذب العطف؛ فتجعلك تحزن معه؛ ويأخذك إلى عالمه الرّائع بالوصف فيجعلك تشاهد الأحداث من خلال الكلمات ودقّة التّعبير، ويرتفع بك إلى أعالي المجد فتتمنّى أن تكون مثله ثم يجعلك تشعر في نفسك بعتاب لسيف الدّولة، وتنصره.

إنّ آفاق التّوقّعات في شعر أبي الطّيّب المتنبّي لا تنتهي وليس غريبًا على من ملأ الدّنيا وشغل النّاس هذا الأمر.

ثالثا: الأنا والآخر في قصيدة واحرّ قلباه:

اتصفت المعاني في شعر المتنبي بالقوة والعظمة، وظهرت هذه القوة أكثر ما ظهرت في شعر المدائح لا سيما في مدحه لنفسه مفتخراً بها،

ظهر في شعر المتنبي استخدامه لضمير المتكلم (أنا)، وذلك إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على جانب الفخر والاعتزاز في شخصيته، ومثال ذلك قوله:

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

أخذت مساحة الأنا والآخر مساحة واسعة في شعر أبي الطّيّب المتنبّي، والغالب على العلاقة بينهما هو النّفي والسّلب والتّضادّ، لدرجة أنها تكاد تغيّب الآخر لقوة تضخّمها[10]، وسندرس في قصيدة "واحرّ قلباه" هذه الأنا عند أبي الطّيّب المتنبّي ومدى قدرته على سلبها من الآخر، ونفيها له، وتضادّها معه:

قال ابو الطّيّب[11]:

1. واحرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
2. ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ
3. إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ

نجد الشاعر في البيت الأوّل يدخل في مقارنة نفسيّة بالمشاعر بينه وبين سيف الدّولة، فهو في حالة حزن شديد لقوله: " واحرّ قَلْباهُ" والآخر قلبه بارد لا يشعر بذلك الحزن:" قَلْبُهُ شَبِمُ "، ولا يهتم له، وهنا يضخّم الشّاعر الأنا، بوضعها في مقارنة مع سيف الدّولة الحمدانيّ.

ثم ينتقل إلى المقارنة بينه وبين الّذين يدعون حبّ سيف الدّولة بأنّه صادق في مشاعره نحوه، أمّا الآخرون فهم مدّعون، وهو بذلك ينفي ما جاء به الآخر من حبّ مثبتًا إيّاه لنفسه:" ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي وَتَدّعي

حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ". ويتمنّى أن تكون القسمة في حبّه بقدر الإخلاص فيها، وهو بذلك الحكم سينال النّصيب الأكبر لصدقه وكذبه، فهو ينفي الاخر ويضخّم الأنا لديه.

قال أبو الطّيّب المتنبّي[12]:

سَيعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا بأنّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي حَتى أتَتْه يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ

ويظهر في هذه الأبيات أتّهام المتنبّي للآخرين بأنّهم جاهلون به، وبقدرته على الردّ، وأنّهم رأوا منه لينا لكنّهم لم يروا ردوده وصلابته فيها فهو يرفع "الأنا" ويجعلها كالأسد الّذي تَرى أنيابه فتظنّه يضحك؛ ولكنه فعلًا يستعدّ للانقضاض على فريسته.

إن الأنا في شعر المتنبّي لا تكاد تخلو من العظمة والفخر والترفع، ولا يظهر الآخر في شعره إلا ليقارن نفسه به إن كان عظيمًا ثابت العظمة، أو ليحقّره، ويسلبه كلّ صفاته إن كان عدوًا أو منافسًا له.

ومن خلال القراءة النّقديّة لقصيدة واحرّ قلباه لأبي الطّيّب المتنبّي نجد أنّ الأسس الجماليّة في التّلقّي قد جعلت من هذه القصيدة تتردّد على ألسنة النّاس فيأخذ كلّ منها مبتغاه، كأنّها جنّة مليئة بالثّمار اللذيذة الّتي تجذب إليها النّاس بشتّى أطيافهم واتّجاهاتهم.

ولا يفتأ المتنبي من ذكر الضمائر المتصلة الدالة على (الأنا) من أل بيت في القصيدة إلى آخره فنجده يسهل قصيدته ب (واحر قلباه) والضير المتصل هو ضمير عائد على المتنبي وفي كلمات أخرى كثيرة نجده يستخدم ياء المتكلم مثل:(جسدي، أدبي، كلماتي، تعرفني، ضحكي، أنني ، تعجب مني)

أن شعر المتنبي عامة وليست ميميته فقط يغلب عليه طابع الأنا، وافتخاره بنفسه فهو يقسم القصيدة بينه وبين ممدوحيه كيف لا و هو من ملأ الدنيا وشغل الناس.

الخاتمة:

إنّ نظريّة التّلقّي بأسسها، ومبادئها أعطت القارئ الدّور الرّئيس في إنجاح النّصّ من عدمه كونه هو المتقبّل أو غير المتقبّل له، ولكن ليس كلّ القرّاء لهم القدرة على إعطاء الحكم على النّصوص؛ فبعضها يحتاج إلى ثقافة واسعة، واطّلاع كبير كي يفهم مغزاه، لكن نستطيع القول أنّها ذات مهمّة تكامليّة تدعم البنيويّة في نقد النّصوص، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها بشكل كامل في نقد النّصّ الأدبيّ.

المراجع والمصادر:

1. إبراهيم، نوال مصطفى(2008): المتوقع، واللامتوقع في شعر المتنبّي: مقاربة نصيّة في ضوء نظريّة التّلقّي، والتّأويل، دار جرير، ط1، عمان، الأردّن.
2. أبو ديب، كمال(1984): جدليّة الخفاء والتّجلّي، ط3، بيروت، دار العلم للملايين.
3. إسماعيل، سامي، (2002)، جماليّات التّلقّي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
4. إيكو، أميرتو، (2000): التّأويل بين السّيمائيّات، والتفكيكيّة، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، الدّار البيضاء، المغرب.
5. البرقوقيّ، عبدالرّحمن. (2001): شرح ديوان المتنبّي، ط1. بيروت، دار الكتب العلميّة، ج2.
6. ربابعة، موسى(2001): قراءات أسلوبيّة في الشّعر الجاهليّ، مكتبة الكنانيّ، إربد، الأردّن.
7. روبرت هولب، (2000): نظريّة التّلقّي: مقّدمة نقديّة، تر: عزّ الدّين إسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة،
8. شرفي، عبد الكريم، (2007): من فلسفات التّأول إلى نظريّات القراءة، دراسة تحليليّة نقديّة في النّظريّات الغربيّة الحديثة، ط1، منشورات الاختلاف.
9. العبيدي، عبد السّلام (2011): "إشكاليّة الموت في شعر المتنبّي"، مجلة جامعة تكريت، العدد 1، المجلد 18.
10. عمري، سعيد، (2009): الرّواية من منظور نظريّة التّلقّي مع نموذج تحليليّ حول رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ. ط1، منشورات مشروع البحث النّقديّ، فاس.
11. محمود محمد الطناجي (2002): في اللغة والأدب دراسات وبحوث –الجزء 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
12. ناجي، آلاء محمد، (2011): شعر أبي القاسم الشابيّ في ضوء نظريّة التّلقي، رسالة ماجستير، جامعة الشّرق الأوسط.
13. الرياحي، سهاد توفيق.(2010) ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء رسالة جامعية (ماجستير في الأدب والنقد)––جامعة العلوم الإسلامية العالمية.
14. إبراهيم، نوال مصطفى أحمد(2006) المتوقع، واللا متوقع في شعر المتنبي: مقاربة نصية في ضوء نظرية التلقي و التاويل رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك ،كلية الآداب.

1 . العبيدي، عبد السلام (2011)، "إشكالية الموت في شعر المتنبي"، مجلة جامعة تكريت، العدد 1، المجلد 18، صفحة 219.

2 . إبراهيم، نوال مصطفى(2008): ا لمتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي: مقاربة نصية في ضوء نظرية التلقي والتأويل، دار جرير، ط1'عمان، الأردن، ص18.

3 . ربابعة، موسى(2001): قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، مكتبة الكناني، إربد، الأردن. ص70

4 . روبرت هولب، (2000): نظرية التّلقّي: مقّدمة نقديّة، تر: عزّ الدّين إسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ص11.

5 . عمري، سعيد، (2009): الرّواية من منظور نظرية التّلقّي مع نموذج تحليلي حول رواية أولا حارتنا لنجيب محفوظ. ط1، منشورات مشروع البحث النّقدي. فاس، ص 17.

6 . ناجي، آلاء محمد، (2011): شعر أبي القاسم الشابي في ضوء نظرية التلقي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ص51.

7. عمري، سعيد، (2009). مرجع سابق، ص35.

8 . البرقوقي، عبدالرحمن. (2001): شرح ديوان المتنبي، ط1. بيروت، دار الكتب العلميّة، ج2، ص62-65.

9 . إسماعيل، سامي، (2002)، جماليات التلقي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ص 9.

10. أبو ديب، كمال(1984): جدلية الخفاء والتجلي، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، ص9.

11 . البرقوقي، مرجع سابق ص62-65.

12 . البرقوقي، مرجع سابق ص62-65.